# دراسة مخطوط "موكب الترك وكوكب الملك" لابن شاهين الظاهري (813-873هـ/1410-1468م)

أ.د. اكتمال إسماعيل [1]

**الملخص**

يعدّ التراث الفكري في التاريخ العربي والإسلامي مبعث فخر للأمة العربية واعتزازها، فهو دليل على العراقة والأصالة، حيث يمثل الصلة بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، فهو امتداد السلف إلى الخلف واستمرار ما ورثه الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد، ويسهم في صياغة مستقبلها، والتراث المادي بشكل عام والمخطوطات بشكل خاص تعد شواهد مميزة على التراث لأنها تعكس الهوية التي صُبغت بها.

يجسد هذا البحث بطاقة تعريفية في الكشف لأول مرة عن هذا التراث الفكري بين ثنايا مخطوطة من العصر المملوكي تُحقق لأول مرة، جاءت هذه المخطوطة بعنوان "موكب الترك وكوكب الملك" لمصنفها "ابن شاهين الظاهري"، وبين صفحات هذا البحث يحاول الباحث تقديم لمحة تعريفية للمؤلف وتعريفاً بكتابه، آملاً في المستقبل أن يكشف اللثام عن تحقيقٍ كافٍ وشاملٍ لهذا الكتاب.

جاءت الدراسة في البداية بتعريف المؤلف ولا سيما كونه موظفاً حكومياً وشاهد عيان، فهو على درجة كبيرة من الأهمية للإحاطة بجوانب شخصيته، ثم تم التطرق عاجلاً إلى بداية عصر الموسوعات وتطورها، والدخول إلى وصف المخطوطة التي بين أيدي الباحث وتقسيمات الكتاب.

**الكلمات المفتاحية:** ابن شاهين الظاهري، موكب الترك وكوكب الملك، التراث المادي.

[1] أستاذة في جامعة دمشق- قسم التاريخ- تاريخ العصر العباسي.

# Study of the Manuscript "The Procession of the Turks and the King's Star" by "Ibn Shaheen Al-Zahiri" (813-873 AH / 1410-1468 AD)

**Prof. Iktimal Ismail** [2]

## Abstract

Intellectual heritage in Arab and Islamic history is a source of pride for the Arab nation. It is evidence of nobility and authenticity, as it represents the link between the past of this nation and its present. It is the extension of the ancestors back to the future and the continuation of what the children and grandchildren inherited from the fathers and grandfathers. It contributes to shaping its future. and the material heritage in general; manuscripts in particular are distinguished evidence of heritage because they reflect the identity with which they were imprinted.

This research embodies an identification card by revealing for the first time this intellectual heritage within the folds of a manuscript from the Mamluk era that has been verified for the first time. This manuscript was entitled "The Procession of the Turks and the King's Star" by its author, "Ibn Shaheen Al-Zahiri", and between the pages of this research, the researcher attempts to provide an introductory overview of the author. Introducing his book, I hope that in the future, an adequate and comprehensive investigation of this book will be revealed.

The study began by defining the author, especially his being a government employee and an eyewitness, as he is of great importance in understanding aspects of his personality. Then, it touched quickly on the beginning of the era of encyclopedias and their development, and it entered into a description of the manuscript in the hands of the researcher and the divisions of the book.

**Key Words**: Ibn Shahin Alzaahiri, mawkib alturk wakawkab almalaki, tangible heritage

[2] Professor at Damascus University - Department of History - History of the Abbasid Era.

**مقدمة:**

شغلت الحركة الفكرية اهتمامات العرب والمسلمين على مر العصور سيما أنه توفرت لديهم الكوادر السياسية والإدارية والعسكرية مع قابلية التطوير والاستجابة لكل جديد، والاستفادة من التراث الذي توفر لهم من البلدان التي دخلوها، سيما العربية منها، ما يعني أن تراثهم اتّسم بالغنى والثروة والتنوع نتيجة التمازج مع الحضارات الأخرى سواء القريبة منها أو البعيدة، فالتراث يعني هوية الأمة وأصالتها وكنزها الذي لا ينضب.

ما دفعني للكتابة عن التراث هو الاطلاع على إحدى المخطوطات الهامة جداً، والتي عاش مصنفها في عصر سيطرة المماليك على مصر وبلاد الشام، ألا وهو خليل بن شاهين الظاهري (813-873هـ/1410-1468م)، والمصَنّف هو (موكب الترك وكوكب الملك)، وهذا المخطوط لم يحقق بعد، والواضح أنه صُنِّف في أواخر العصر المملوكي، هذه الحقبة التي قيل عنها أنها حقبة الموسوعات، سواء الأدبية أم الإدارية على أنواعها، وفي علوم السياسة، والواضح أن كتب الأدب والتاريخ والإدارة تحوي نصوصاً كثيرة جديرة بالدراسة التحليلية، سيما أن هذه المؤلفات تطورت وأصبحت اختصاصية.

والقصد هنا شدّ الانتباه إلى موضوع جدير بالاهتمام يُعالج ويستقرئ أحد الكتب الإدارية السياسية التاريخية التي صُنفت أواخر عصر سيطرة المماليك، هذا العصر الذي يحتاج إلى مراجعة تأملية، فقد قيل فيه إنه عصر الموسوعات التي لم تكن بدايتها فيه، لكن بلغت أوج نضجها وازدهارها حتى رأى بعض الباحثين أنه كان عصر النهضة الفكرية ولذلك مسوغات كثيرة، والباحث ليس بصدد الدخول في متاهاتها.

- **إشكالية البحث:**

تكمن إشكالية البحث في الكشف عن مخطوط ثمين غير محقق، لا سيما أن بعض صفحاته في حكم المفقود، مع العلم أن هذا المخطوط جاء على شكل هدية قُدمت إلى أحد السلاطين المماليك، ولا يُعرف من هو بالتحديد، والأهم من هذا محاولة تقديم كتاب جديد في الحقبة المملوكية ليكون أحد مصادرها، وعلى اعتبار أنه من التراث المادي الذي يتم الإضاءة عليه لأول مرة.

- **أهمية البحث:**

تتجلى أهمية الكشف عن التراث المادي واللامادي لمخطوطة " موكب الترك وكوكب الملك"، في محاولة جادة لإظهار التراث العربي والإسلامي بحلّة جديدة، وتنبع أهمية هذا البحث من دراسة كتاب موسوعي يضمّ علوماً متنوعة كالإدارية والسياسية والتاريخية والجغرافية.

- **أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى الكشف عن مصدر هام من مصادر الحقبة المملوكية، والتعريف بمؤلفه والإحاطة بشخصيته وعصره قدر المستطاع، ولا سيما أنه أحد موظفي الدولة المملوكية، لذلك يعد شاهد عيان على كثير من الأحداث التاريخية، إضافة إلى التعريف بالكتاب باعتباره يُصنّف من كتب التاريخ ذات الطابع الموسوعي في تلك الحقبة، ويرفد الكشف عن الكتاب رفد المكتبة العربية الإسلامية بأحد أهم المصادر التاريخية في حقبة عصر المماليك.

- **منهج البحث:**

اعتمد البحث المنهج الوصفي والاستقرائي التاريخي، بأسلوب تحليلي، وذلك بوصف المخطوطة وصفاً دقيقاً قدر المستطاع، والدخول في حيثيات الكتاب ووصف محتواه وأقسامه، ثمَّ تحليله تحليلاً علمياً وموضوعياً بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية، ومن ثَمَّ الوصول إلى النتائج التي تمخضت عنه.

**أولاً: بداية تدوين الموسوعات وتطورها التاريخي:**

عند الدخول في خضم ميدان التعريف بالموسوعات لا بد من إظهار وتبيان بداية تدوينها، والواضح أن الفيض العلمي السخي الذي أنتجه العقل وخطته أقلام المفكرين والمؤرخين العلماء دوِّن في ما سُمي بالموسوعات، ما يعني أن تلك الموسوعات قدمت للباحثين أنفسَ إرثٍ حضاريٍ للشعوب والأمم المدروسة.

وهنا اختلفت آراء الباحثين حول بداية تسمية ذلك الكنز الثمين بالموسوعات، هل كان ظهور الموسوعات في العصر المملوكي نتيجة للغزو المغولي لبغداد سنة 656هـ/1258م وتدمير تراث العراق؟ أم ظهرت ألمعها وأنفسها في ذلك العصر؟ وهل هم الذين أطلقوا عليها هذه التسمية؟ أم أن بواكير كتابة الموسوعات كانت في حقبة مبكرة من العصور الوسطى؟

من المؤكد أن بعض الباحثين أعادوا ظهورها إلى حقبة متقدمة من التاريخ في العصور الوسطى فأشاروا بدايةً إلى أسماء متعددة، كالجاحظ في كتابه الحيوان، وابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار، والأصفهاني في موسوعته الأغاني، التي قيل عنها بأنها أكبر وأثمن الموسوعات الأدبية والاجتماعية والتاريخية والفكاهية[3]، بل عمد البعض إلى إعادتها إلى ابن هشام في كتابه السيرة.

ومما لا شك فيه أن الموسوعات الأولى مثل الحيوان للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري أقرب منهجاً إلى الموسوعات المملوكية، ولعلَّ عيون الأخبار أكثر قرباً إليها من غيرها،

[1]- الشكعه، 1991م، ص758.

والواضح أنها موسوعات أدبية، لغوية، تاريخية، سياسية وعلمية، غير أن الموسوعات التاريخية كما ورد سالفاً بدأت منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

وتتابع ظهور الموسوعات متسلسلة يلاحق بعضها بعضاً، فهي لا تختص بعصرٍ من العصور، وإنما هي امتدادٌ طبيعيٌ ومسيرةٌ فكريةٌ للعقل الإنساني، فظهر ابن عساكر خير ما مثلت كتابته هذه الموسوعات والمعنونة بـ (تاريخ دمشق الكبير)، أو (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) وهي في أربعين مجلدٍ، وهذه الموسوعات تدحض آراء بعض الباحثين عندما عزوا ظهورها إلى غزوِ المغول لبغداد.

تواءمَ هذا مع ظهور شخصيةٍ لامعةٍ أطلق عليها بعض الباحثين أنها موسوعة بنفسها ناهيك عن مؤلفاتها، إنها ابن الجوزي الذي عاش ما بين (508-597هـ/1114-1200م)، وقد ألّف ابن الجوزي ثلاثمائة كتاب من بينها كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) الذي لم يطبع منه لسوء الحظ غير ستة مجلدات[4]، وغيرها الكثير الكثير من أسماء الكتب المخطوطة والمطبوعة، ولم تقل مكانة ابن الأثير العلمية عما قبلها أو بعدها، بل قدمت أسرته إرثاً علمياً غنياً للإنسانية جمعاء، فقد لمع ثلاثة رجال من بيت هذه الأسرة، كان أولهم عز الدين مؤلف موسوعتين تاريخيتين هما (الكامل في التاريخ) في اثني عشر مجلداً، رتبه على السنين حتى سنة 629هـ/1231م، وموسوعة (أُسد الغابة في معرفة الصحابة) في خمسة مجلدات، بينما دوّن أخواه، الأول نصر الله كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، والثاني المبارك الذي كان محدثاً ثبتاً وأستاذ زمانه في علم الحديث.[5]

وتتالت كتابة الموسوعات على يد التاجر والجغرافي والمؤرخ ياقوت الحموي الذي كان شاهد عيان على كثير من الأحداث التي دوّنها في (معجم البلدان) و(المشترك وضعاً والمفترق صفعاً) و(المقتضب من جمهرة النسب)[6]، أما موسوعة (بغية الطلب) لعمر بن أحمد بن أبي جراده المتوفى سنة 660هـ/1261م فقد ضمّت صفحاتها الأدب والجغرافية والتاريخ، في نطاق حلب وشطر من بلاد الروم البيزنطيين، وما ورد سالفاً يُظهر أن الموسوعات دوّنت قبل قدوم المغول، أو قبل تولي المماليك لسدّة السلطة في مصر وبلاد الشام، غير أنه قيل بشأنها أنها تنتمي إلى طرازٍ مصريٍ صرفٍ من المؤلفات الوصفية التي وضعها عمّال وعلماء وحكومة عصر المماليك، وكنمط أدبي فإنها ترتبط بتلك المجموعات التي وضعت في الإدارة والجغرافية الموضوعة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، ولكنها تختلف عنها أن جمهورها من القراء أوسع،

[4] - الشكعه، 1991م، ص755.

[5] - الشكعه، 1991م، ص756.

[6] - الشكعه، 1991م، ص757.

وهي وضِعت بالأساس من أجل كتبة الدواوين–خصوصاً –كتّاب ديوان الإنشاء، مما يعني أن الاهتمام بها ومطالعتها شمل جميع المثقفين، وبالنتيجة هي تعالج مسائل أعم وأكثر شمولاً من جميع العلوم التي يريد المؤلف أن يعرّف بها، وأثبتت الدراسات أن جميع الموسوعات في هذه الحقبة تتسم بالتشابه في الترتيب.[7]

وما يشدُّ الانتباه في هذا المقام ما شهدته حاضرة السلطنة المملوكية بعد غزو تيمورلنك لبلاد الشام 803هـ/1400م، فقد كثر المؤرخون ذوو الأنماط الموسوعية، وانصرفوا نحو الفلسفة السياسية والاجتماعية كالمقريزي وابن خلدون، وفلسفة التاريخ مثل السخاوي، وبعضهم نحو الفكر الإداري والسياسي في إطار الشريعة بأسلوب أخلاقي يتسم بالموضوعية والجدية، والبعد عن النفاق، ولعل أهم كتب هذه المرحلة: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي، ورسائل المقريزي، مثل السلوك في معرفة الدول والملوك، والخطط، والتيسير والاعتبار لمحمد بن خليل الأسدي، وابن شاهين الظاهري صاحب كتاب كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك.

ومرة جديدة يمكن التساؤل أمام الكم الهائل من الإنتاج الفكري أواخر العصر المملوكي، هل وصلت بعض فنون الإنتاج الفكري إلى مرحلة النضج؟ وأن هذا النضج عبّر عن شيخوخة وليس عن روح شابة تتدفق بالحياة، فالموسوعات مثلها مثل المختصرات الإبداع فيها شبه منعدم، فهل استبداد العقلية الصوفية الغيبية مسؤولة لوحدها عن ذلك،[8] أم أنها ترافقت مع انهيار النظام المملوكي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

المهم أن الشيخوخة الناضجة قُتلت على أيدي قوات السلطان سليم ولم تمت ميتة طبيعية، وهذا ليس بجديد في التاريخ بل هناك أمثلة كثيرة، وبعد التقديم سالفاً عن الموسوعات وعن الكتاب لا بدّ من التساؤل عن ابن شاهين الظاهري فمن هو؟

**أولاً: التعريف بالمؤلف، وظائفه، مؤلفاته:**

ترجم له ابنه زين الدين عبد الباسط بن خليل، وهي ترجمة وافرة فيها تفاصيل دقيقة عن حياة أبيه، فيقول عبد الباسط في أبيه: "خليل بن شاهين الشيخي، الصفوي، الظاهري، المقدسي المولد، القاهريّ، الحنفي، الأمير، الوزير، غرس الدين، أبو الصفا، المعروف بنائب الإسكندرية، سيدنا ومولانا وشيخنا، الوالد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأباحه بحبوحة جنّاته"[9].

[7] – أغناطيوس، د.ت، ص405.

[8] – جمال الدين، د.ت، ص23.

[9] – زين الدين، 2002م، ج1، ص8.

ولد ابن شاهين بالقدس الشريف بالمدرسة الخاتونية[10] سنة 813هـ/1410م، وكان والده يعمل حاجباً بها ومسؤولاً عن نظافتها قبل أن يلي النيابة بها، ومن غريب ما وقع في أمر حمل والدته به أنها كانت تلد الإناث، فاتفق أن حملت، فخرجت من القدس إلى مدينة جرون حيث مدفن سيدنا إبراهيم الخليل، ونذرت شيئاً وافراً من المال إن ولدت ذكراً، وأنْ تسميه الخليل، فلما وضعته سمته الخليل.

كان ابن شاهين ذكياً حذقاً فهماً فطناً حاد الذهن، كيّساً، ثم أخذ في الاشتغال بالعلم، فبحث "**القدوري**"[11] على بعض أهل العلم في القدس، وبعد موت والده شاهين اتصل بخدمة **أزبك الأشقر**[12] الدوادار[13] الكبير، وجعله على الأحواش السلطانية، ومتكلماً على الصيّادين، وقربه واختصَّ به لحذقه وكماله.

بعد خروج الأشقر من القدس، تفرّغ ابن شاهين للعلم والمطالعة وأخذ عن جماعة من كبار العلماء، وجالس العلّامة **العلاءالبخاري**[14]، وأخذ عن السعد بن الديري، **والزين التفهني**[15]، **والسراج** قارئ "**الهداية**"[16]، والعلاء الروميّ، والشيخ يحيى السيرامي[17]، **والكمال بن الهُمام**[18]، والشيخ العلّامة **الكافيجي**[19]، ومن مشايخه: الأمين الأقصرائي[20]، والتقي الشُمنّي[21]، كما أخذ

---

[10] تُنسب إلى واقفتها "أُغل خاتون بنت شمس الدين بن سيف الدين القازانية البغدادية" في سنة 755هـ/1354م. (نجم، رائف، وآخرون، 1983م، ص247)

[11] هو كتاب "مختصر القدوري" في فروع الحنفية، للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي ت428هـ/1036م. (خليفة، 1941م، ج2، ص1631)

[12] أزبك الأشقر الرمضاني الظاهري برقوق، أمير طبلخانه ورأس نوبة، ت833هـ/1429م. (السخاوي، د.ت، ج2، ص848)

[13] الدوادار: هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى أمرها مع ما ينظم من الأمور اللازمة من حكم وتنفيذ امور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، والداودارية وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخط السلطاني على عامة المناشير. (دهمان، 1990م، ص77)

[14] هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن السيد البخاري ت841هـ/1437م. (السخاوي، د.ت، ج10، ص291-294)

[15] هو عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن هاشم التفهني القاهري الحنفي ت835هـ/1431م. (السخاوي، د.ت، ج4، ص98-100)

[16] – هو عمر بن علي بن فارس الكناني، ويعرف بقارئ الهداية تمييزاً له عن سراج آخر كان يرافقه في القراءة على العلاء السيرامي شيخ البرقوقية ت829هـ/1425م. (السخاوي، د.ت، ج6، ص109-110)

[17] السيرامي أو الصيرفي، يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى، ت833هـ/1429م. (السخاوي، د.ت، ج10، ص266-267)

[18] محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الأصل ت861هـ/1456م. (السخاوي، د.ت، ج8، ص127-132)

[19] محمد بن سليمان بن سعيد بن مسعود المحيوي، أبو عبد الله الرومي، ويُعرف بالكافيجي ت879هـ/1474م. (السخاوي، د.ت، ج7، ص25-261)

[20] يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصرائي ت880هـ/1475م. (السخاوي، د.ت، ج10، ص240-243)

بدمشق عن جماعة، منهم: القوام قاضي القضاة الحنفي[22]، والبدر العيني[23]، والعلم البُلقيني[24]، والشمس القاياتي[25]، **والشمس البساطي**[26]، **والشمس الونائي**[27]، **والمجد بن نصر الله**[28]، **والبدر التنيسي**[29]، **والعز عبد السلام البغدادي**[30]، **والتقي بن قندس**[31]، **والبرهان الباعوني**[32]، **والبدر بن عبد المنعم**[33]، وجماعة يطول الشرح في تعدادهم من غالب بلاد الإسلام، ومشايخ مصر والشام ممن أخذ عنهم، ولازم ابن شاهين مجالس **ابن حجر العسقلاني**[34] في سماع الحديث، وسمع عليه الكثير، وسمع عليه بعض تصانيفه أيضاً، وأجازه، وأثنى عليه في إجازته وعلى ما صنّفه، وذكره في مواضع من تاريخه "**إنباء الغمر**".

---

[21] أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة التميمي، الداري القسنطيني الأصل، السكندري، ت 872هـ/1467م. (السخاوي، د.ت، ج2، ص174-178)

[22] أحمد بن محمد بن محمد بن قوام الرومي الأصل، الدمشقي، ويُعرف بلقبه قوام الدين ت 858هـ/1454م. (السخاوي، د.ت، ج9، ص266)

[23] محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود الحلبي الأصل، العينتابي، القاهري الحنفي المؤرخ ت 855هـ/1451م. (السخاوي، د.ت، ج10، ص131-135)

[24] صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني، البلقيني الأصل القاهري الشافعي، ت 868هـ/1463م. (السخاوي، د.ت، ج3، ص312-314)

[25] محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي القاهري الشافعي ت 850هـ/1446م. (السخاوي، د.ت، ج8، ص212-214)

[26] هو محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدّم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد بن عليم البساطي، ثم القاهري، المالكيّ. مات سنة 842هـ/1438م(السخاوي، د.ت، ج7، ص5-7)

[27] هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن أبي بكر الونائي، المصري، الخانكي، الشافعيّ. مات سنة 890هـ/1485م.

[28] هو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد التستريّ الأصل، البغدادي، القاهري، الحنبلي. مات سنة ٨٤٤ هـ. (السخاوي، د.ت، ج2، ص233-239)

[29] هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجا بن أبي الثناء حمود بن نهار، أبو الإخلاص. مات سنة 853هـ/1449م. (السخاوي، د.ت، ج7، ص90-92)

[30] هو عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن محمد بن كيدوم بن عمر بن أبي الخير سعيد القيلوي، البغدادي، القاهري، الحنبلي، الحنفيّ. مات سنة 859هـ/1454م. (السخاوي، د.ت، ج4، ص198-203)

[31] هو أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف التقي، البعلي، الصالحي، الدمشقي، الحنبلي. مات سنة 861هـ/1456م. (السخاوي، د.ت، ج11، ص14،15)

[32] هو إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرح بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن الباعوني، الدمشقي، الصالحي، الشافعي. مات سنة 870هـ/1465م. (السخاوي، د.ت، ج1، ص26-29)

[33] هو محمد بن محمد بن عبد المنعم بن داود بن سليمان، أبو المحاسن البغدادي، القاهري، الحنبلي. مات سنة 857هـ/1453م. (السخاوي، د.ت، ج9، ص131-134)

[34] هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني، العسقلاني، المصري، القاهري، الشافعي. مات سنة 852هـ/1448م. (السخاوي، د.ت، ج2، ص36-40)؛ (ابن سبط العجمي، 1996م، ج2، ص219-222)

ذاع صيت ابن شاهين حتى طلبه الأشرف برسباي، فولّاه النظر على الخاصّ في الإسكندرية، وباشره بإتقان واحتراف حتى أُعجب الأشرف بعمله، وأضاف إليه نظر الذخيرة وبيع البهار على اعتبار أن الاسكندرية ميناءً للاستيراد والتصدير، ثم بعث إليه أن يتسلّم الحجوبية بها، ثم رقّاه إلى نيابتها، وحُمدت سيرته في مباشرة جملة هذه الوظائف، وشُكرت أحكامه، وأحبه أهل الثغر، ثم حضر إلى القاهرة فتلقاه الأشرف بالرحب وشكره في الملأ العام من العسكر وأعيان الدولة.

والواضح أنه امتلك مكانة اجتماعية مرموقة، وانطلاقاً من مكانته فقد تزوّج بأصيل أخت خوند جلبان[35] أم العزيز وهي أخت زوجة الأشرف برسباي، إلا أنه لم يمكث طويلاً في الإسكندرية، فبعث يستعفي من وظائفه، والتمس حضوره إلى القاهرة، فعُهد إليه إمرة طبلخاناة[36]، ثم أُضيف لمسؤولياته النظر فيدار الضرب، وأُمِّر على محمل الحج، وخرج إلى الحج بأبّهة زائدة في سنة 839هـ/1435م، وكانت الحجة الثانية له، فإنه حج قبلها حجّة الإسلام صحبة والده.

طلبه الأشرف للوزارة، فوليها في سنة 840هـ/1436م وباشرها مدّة يسيرة (المقريزي، 1997م، ج7، ص310)، ثم استعفى منها، ثم ولاّه نيابة الكرك[37] والشوبك، وكانت الكرك إذ ذاك من أجلّ النيابات، وكانت قلعتها مشحونة بالأموال والحواصل بالغلال، ويبدو أنه ولّاه إياها لتكون معقلاً وذخيرة لولد الأشرف لأنه أحس بدنو أجله(زين الدين، 2002م، ج1، ص12،13)، وأقام بها نحو السنتين، ثم صُرف عنها إلى نيابة صفد، وباشر ابن شاهين أتابكيّة صفد وبها نائبها حينئذ الأمير إينال العلائي[38]، ثم دام بصفد حتى كانت قضية تمرد إينال الحكميّ[39]، وتغري برمش[40] نائبي الشام وحلب وتوجّه عساكرهما إلى صفد، فخرج ابن شاهين صحبة العسكر الصفديّ لمواجهتهم وردهم.

عرف الظاهر الحال فشكره في الملأ العام، وولّاه نيابة ملطية، وبعث إليه بتقليدها وتشريفها، فتوجّه ابن شاهين إلى ملطية، قدم في غضونها مرتين إلى القاهرة، نُقل في الثانية منها إلى أتابكية

---

[35]- وهي أخت يوسف خال الملك العزيز. (السخاوي، د.ت، ج10، ص303)

[36]- الطبلخاناه: الفرقة الموسيقية السلطانية، وكانت في العادة تدق مرة واحدة في كل ليلة بعد صلاة المغرب، وتكون هذه الفرقة مع السلطان في الأسفار والحروب، ويُطلق الطبلخاناه أيضاً على المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات. (دهمان، 1990م، ص107)

[37]- الكرك: قلعة حصينة جنوب دمشق، وتسمى قلعة صلاح الدين، وقد أعاد بنائها الصليبيون أثناء حروبهم على بلاد الشام في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، شهدت الكرك أحداثاً تاريخية هامة في العصر العربي الإسلامي (الحموي، 1977م، ج4، ص53)

[38]- هو الأشرف أبو النصر ويقال له الأجرود. مات سنة 865هـ/1460م .. (السخاوي، د.ت، ج2، ص328)

[39]- قتل سنة 842هـ/1438م . (السخاوي، د.ت، ج2، ص1074)

[40]- هو تغري ورمش بن أحمد واسمه حسين، وأبوه يدعى بابن المصري. قتل سنة 842هـ/1438م.(السخاوي، د.ت، ج3، ص35)

حلب، فعاد إليها ودخلها بأبّهة زائدة، وجرى بينه وبين نائبها قانباي الحمزاوي[41] منافسة، وبعث يشكوه للظاهر، فصدر أمر الظاهر بحمله مقيّداً إلى سجن قلعة حلب(ابن سبط العجمي، 1996م، ج2، ص182)، فبقي بها قليلاً حتى شفع فيه جماعة من الأعيان، منهم الحافظ ابن حجر، فأطلقه وأقطعه مدينة قاقون[42]، فاستأذن ابن شاهين أن يكون بمدينة الخليل، فأُذن له بذلك، ثم طلبه السلطان إلى القاهرة، وقرّر له نيابة القدس سنة 850هـ/1446م، وباشرها فوق السنة، ثم بعث بالاستعفاء منها فأعفي، وأمر بالتوجّه إلى دمشق فأقام بها مدّة.

ثم قدم إلى القاهرة فأكرمه الظاهر وأنس به، وكان يسأله في كثير من الأمور الدينية والدنيوية وأحوال قواعد المملكة، ثم زاده على ما بيده بدمشق إمرة عشرين وبعث إليه بمبلغ ألف دينار، غير ما كان قد رتّبه باسمه وهو مقيم بالقاهرة، وغير ما رتّبه لأولاده على الذخيرة بالقدس، وعاد إلى دمشق، ثم سار في الحج الشامي في العام الثاني، فلما عاد من الحج كان الظاهر قد مات وتسلطن بعده الأشرف إينال، فبعث إليه باستقراره في إمرة الحاج، وأضاف إليه الركوب الثلاث :الشامي، والحلبي، والكركي.

استعفى ابن شاهين عن دمشق، فأُجيب إلى ذلك، وأعطي إمرة عشرين بطرابلس، فتوجّه إليها في سنة 859هـ/1454م، وأقام على ذلك مدّة بطرابلس وهو معفى من الخدم وسائر الكلف السلطانية، عاكفاً على الشغل والإشغال بمطالعة الكتب وإسماع الحديث وإلقاء شيءٍ من الدروس، كما صنّف بها عدد من الكتب، وأنشأ بها داراً وزاوية.

انتقل ابن شاهين من طرابلس إلى دمشق حيث تولى إمرة طبلخاناه سنة 864هـ/1459م، واتفق أن مات الأشرف إينال بعد ذلك بقليل، وتسلطن ولده المؤيّد سنة 865هـ/1460م، فبعث إليه يطلبه إلى القاهرة، فقدمها في شهر رمضان سنة 865هـ/1460م، ثم استلم بعد الأشرف إينال بعد سنة واحدة الظاهر خشقدم، فأنس بابن شاهين وقدّمه واختصّ به، وأذن له أن يقيم بالقاهرة، وكوتب من أقاصي المملكة في كثير من المهمّات وأنهاها وأحسن السفارة فيها.

خرج ابن شاهين إلى العراق صحبة الحاج العراقي مع الأمير عبد الحق بن الجنيد، ثم كانت وفاة الظاهر خشقدم، فعاد ابن شاهين إلى هذه المملكة من على جهة حلب، ثم دخل طرابلس في أوائل سنة 873هـ/1468م، ونزل بداره فأقام بها منعزلاً عن الناس، متوجّها إلى الله تعالى عاكفاً على العبادة والخير وتلاوة القرآن، مقبلا على شأنه، وكأنه كان قد أحسّ بدنو أجله.

---

[41]- مات سنة 863هـ/1458م. (السخاوي، د.ت، ج4، ص195)

[42]- قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة. وقيل: هو من عمل قيسارية من ساحل الشام. (الحموي، 1977م، ج4، ص299)

اتفق أنه لم تطل نوبته بطرابلس إلاّ بعض شهور وباغته أجله بها بعد أن مرِض بالبطن أياماً، ولما أحسَّ أنه يموت كان معه بعض شيء من حطام الدنيا مبلغاً عيناً نقداً فأحضره وقسّمه على أولاده وورثته، وفي ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة توفي مبطوناً شهيداً، وجهّز وكفّن، وصُلّي عليه بداره في صبيحة يوم الخميس، ثم دفن بالمدفن الذي كان أعدّه لنفسه.

كانابن شاهين مشكور السيرة في جميع ولاياته، مشفقاً على الناس متواضعاً لأهل العلم، عاقلاً حازماً كريماً عفيفاً، ذا رأي وتدبير وخبرة بالأمور، ذا حنكة وتجارب ودهاء ومعرفة بطرائق الملك والملوك والمملكة بحيث لا يعجبه في ذلك العجب.

ولد لابن شاهين من الأولاد زيادة على الأربعين، وتزوّج من النساء زيادة على العشرين، وتسرّى من الإماء زيادة على الثلاثين، وملك من المماليك نحو المائتين، وكان يعتق البعض من مماليكه فيزوّجه لبعض من سراريه وأمّهات أولاده بعد عتقهنّ بحيث صار الكثير من أولاد مماليكه إخوة لأولاده من الأمّهات، وترك من الورّاث ستة ذكور، وابنة تدعى الست صفر، وثلاث زوجات، منهنّ الست فاختة[43] ابنة الشيخ شمس الدين الحنفيّ، وكان له أخت تدعى الست صفر ملك تزوّجها الخواجا صارم الدين إبراهيم بن الخواجا قرمش(السخاوي، د.ت، ج3، ص297) (ابن سبط العجمي، 1996م، ج2،ص177) (زين الدين، 2002م، ج5، ص75) (البابانى، 1955م، ج1، ص353)

بلغت تصانيفه زيادة على الثلاثين، ومن ذلك:"البرهان المستقيم في تفسير القرآن العظيم والتحفة المنيفة في الأحاديث الشريفة وشرحها" و"التحرير في أنواع التعزير، وإجماع الجمهور على مذمّة شراب الخمور والإشارات في علم العبارات في مجلّدين ضخمين، و"الكوكب المنير في أصول التعبير"، و"كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك"، في مجلّدين أيضاً، واختصره في نحو نصف حجمه، وسمّاه "زبدة كشف الممالك"، ثم اختصر الزبدة في مجلد لطيف، سمّاه "زبدة الزبدة"،وكتاب "الإنشاء الشريف"، و"الغاية في الطلب،" و"المعتمد في الغلط المتعمد"، و"الذخيرة لوقت الحيرة"، و"ديوان خطب"، وديوان في ثلاث مجلدات، وعدة رسائل.(السخاوي، د.ت، ج3، ص195-197) (ابن سبط العجمي، 1996م، ج1، ص19-21)(زين الدين، 2002م، ج5، ص75) (خليفة، 1941م، ج2، ص1523).

وقد جمع الشيخ الإمام العالم الفاضل شمس الدين محمد بن عبد المحسن السكندري كتاباً ضخماً في سيرة ابن شاهين وسمّاه :"الدرر السنيّة في المحاسن الغرسية" أتى فيه بأشياء

[43]- تزوّجها بعد سنة 870هـ/1465م وهي: فاختة بنت محمد بن حسن بن علي أمّ الهدى ابنة الشيخ الحنفي. (السخاوي، د.ت، ج12، ص527).

كثيرة، وجمعت له سيرة أخرى لبعض أهل الفضل سميّت "الرياض القدسية في المحاسن الغرسية" وجمع الشيخ إبراهيم بن عبد الرزاق له أيضاً كتاباً فيه ما امتدح به من القصائد.

**ثانياً: وصف مخطوط "موكب الترك وكوكب الملك":**

الصفحة الأولى من المخطوط

كتاب "موكب الترك وكوكب الملك" لا يُعرف له حتى الآن بوجود نسخة أخرى غير النسخة التي اطلعتُ عليها، وهو غير محقق بعد، لكن تم الاطلاع على صورة مصورة عن النسخة الأصلية، فتبيّن أنه منسوخ بخط نسخي جميل، وموضوعه إداري وسياسي وتاريخي بتوجه عالمي، ومن ذلك يُستدل على أن ابن شاهين لم يتوقف عند دراسة اختصاص معين في التاريخ الحضاري، بل شمل فكره فروع كثيرة.

يقع المخطوط في جزأين، ضاعت أوراق من أوله ووسطه وآخره، وللمخطوط أهمية عالية، فهو يتألف من 832 صفحة، شغل الجزء الأول منها 456 صفحة، وليس في أي مكان من الكتاب اسم المؤلف، ولا من صنع الكتاب، ولا إحالات من المؤلف إلى مصنفات أخرى له، لكن عند العودة إلى كتب الفهرسة وتحديداً كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة تبيّن أن المصنّف هو ابن شاهين الظاهري، ولكن بقي سؤال لا بدّ من طرحه سيما أن معظم المؤلفات أُلفت لسلاطين أو أمراء، والسؤال: من هو السلطان الذي ألف له ابن شاهين هذا الكتاب وأهداه إليه؟

الصفحة الأخيرة من المخطوط

لدى استعراض أسماء السلاطين في عصر سيطرة المماليك، وخاصة في العصر الذي امتدت فيه حياة المؤلف (813-873هـ/1410-1468م)، يُلاحظ أن هذا العصر اتسم بالتناقضات والاضطرابات وكثرة تبدّل الحكّام فيه، فعلى مدى ما يقارب الستين سنة –وهو عمر المؤلف ابن شاهين الظاهري– حكم من السلاطين المماليك الشراكسة خمسة عشر سلطاناً، ثمانية منهم لم يتجاوز حكمهم السنة، وأغلب هؤلاء لا يتعدى حكمهم الثلاثة شهور، وعلى افتراض أن ابن شاهين لم يؤلف كتابه إلّا بعد بلوغه التسعة والعشرين سنة، فيمكن تضييق نطاق عدد السلاطين الذين من الممكن جداً أن يكون أحدهم هو المقصود بهدية ابن شاهين، وهم

ثلاثة سلاطين، الظاهر جقمق (842-857هـ/1438-1453م) والذي حكم خمسة عشر سنة، والسلطان الأشرف إينال العلائي (857-863هـ/1453-1458م)، والذي حكم لمدة ست سنوات، والسلطان الظاهر خشقدم (865-872هـ/1460-1467م).

رجَّح بعض الباحثين أنه السلطان الظاهر تمربغا (872هـ/1468م) الذي كانت مدة حكمه قصيرة، ومع ذلك أثنى عليه ابن شاهين الظاهري كثيراً كما يبدو في مطلع المخطوط وفي ثناياه، ورجَّح البعض الآخر أنه السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ/1438-1453م).

وهنا لا بدّ من إيراد بعض ما ورد عنده على سبيل المثال لا الحصر وذلك بعد أن سقطت بضع أوراق فيه: "**أن نؤلف له كتاباً فيما يجب على الملوك من نشر العدل وإتباعه، ومحو آثار الظلم واقتناعه، محتوياً على معالم هذه المملكة وقواعدها وطرائق سير الملوك فيها وعوائدها، وما كانوا يفعلونه ثم بطل وعوضوه بما هو في زماننا يستعمل، ويصد ولاة الأمور عن الأذية، استجلاب الدعاء الصالح من الرعية، والاطلاع على ممالك الإسلام شرقاً وغرباً...من كان بها في الزمن القديم...وترتيب قواعد الممالك الشاميّة، ونوابها وأمرائها وحجابها وأرباب الوظائف الدينية والديوانية وذوي الصناعات والمعلمية، وما بكل مملكة منها من أمراء العربان (7-ظ)...وطوائف التركمان إلى غير ذلك مما يحتاج الملوك إلى الاطلاع عليه، ويسندون غالب أمورهم إليه فاقتطفت من رياض الكتب الجامعة لهذه المقاصد زهراً، وتنضدت من جواهر عقودها الفائقة درراً، واكتسبه بالمشافهة من قدماء الدول وأعيانها، وشاهدته بالنظر فعل أركانها، فاجتمع لي من ذلك ما قل لفظه، وكثر معناه ويستغني به على الملك في مهمات الأمور عنما سواه، فجامع الإيجاز في كفة راجحة كغصن الريحان خفيف الحمل طيب الرائحة، ورتبته على أقسام، وأبواب، وفصول، ومقاصد متحرياً فيها الصواب، ودخلت فيه بيوت ترتيب السلطنة من أبوابها، وجلوت فيه تدبير معالم المملكة والحروب على خطابها، فجاء بعون الله كتاباً فائقاً وتأليفاً لائقاً، تُدان به ملوك الدول، ويستغنى به أحياناً عن الحيل الخيل يتوهمه المتأمل دراً نظيماً، ويخاله الملك جليساً في حضرته نديماً منهجاً كأنه رشفة بحر أو درة من نحر أو زهر من الأكمام، ومعنى تدق عنه الأفهام، أو وصف حبيب يأخذ بالمجاميع، أو بدر تلألأ لأنوره من المطالع للطالع، تسجد له جباة الأقلام في محاريب صحفها، وتبسط له ذوي الرتب السنية راحات أكفها، ولطالما ما أبدى مما جمع معلناً، وأنشد بلسان حاله مفخماً شعراً:**

**لقد صرت في جمع الفضائل أوحدا وبي يطرب الشادي إذا قال أوحدا**
**فدع كل قول بعد قولي فإنني أنا الصائح المحكيّ والآخر القدا**

**على أني لا أرغب فيما أقدمه لمولانا السلطان إلا بما ضاع نشره العالم على الدوام، وداع بشره المتراكم على حمد الليالي والأيام وأقول: الناس يهدون على قدرهم، لكنني أهدي على قدري، يهدون ما يفنى، وأهدي الذي يبقى مدى الأيام والدهر مع أني ما أبرئه من زلل، وإن طاب مورده الإذلال ولا أنزهه من خلل وإن خلل احتوى على أحسن المقاصد، والخلال وسميته بموكب التركب وكوكب الملك، وجعلته ستة عشر قسماً، تفوق على عقد حولي ناصع الجواهر نظماً، وأقول ولا أبرئ نفسي أنني بشر، أسهو وأخطئ، لو لم يحملني قدر، ولا أرى عذراً أولى به زلل، من أن يقول مقراً: إنني بشر**".(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 7– ظ ، الورقة 8– و)

**ثالثاً: منهج المؤلف في الكتاب:**

أشار ابن شاهين الظاهري إلى دوافعه في كتابة مصنفه في بداية مخطوطته التي بين أيدي الباحث، مع العلم أن جزء من المقدمة مفقود، إلا أن أول ما ابتدأ به في الأوراق الموجودة بعضاً من دوافعه، فيقول: "أن نؤلف له كتاباً فيما يجب على الملوك من نشر العدل وإتباعه، ومحو آثار الظلم وامتناعه"، والمقصود هنا الملك جقمق ت 758هـ/1453م، وهنا لا بدّ من الإشارة أن هذه الهدية احتوت على الآداب السلطانية، وهي كعادة المؤلفين من المؤرخين وموظفي البلاط السلطاني، يبدؤون كتبهم في النصح والإرشاد للملوك والسلاطين، وذكر صفاتهم الجليلة ومحاسن تصرفاتهم وأيديهم البيضاء في الإحسان والكرم.

يحرص ابن شاهين الظاهري على ذكر أن كتابه مقتطف من رياض الكتب الجامعة –المصادر المخطوطة– وهي الموسوعات ذات العلوم والمعارف الكثيرة، ولا بدّ من التذكير أن الكتب الجامعة في العصور العربية الإسلامية قد احتوت على علوم كثيرة بمنهج علمي دقيق، مثل "مسالك الأبصار وممالك الأمصار" للعمري، و"سراج الملوك" للطرطوشي، و"صبح الأعشى" للقلقشندي، إذ أن العلماء حرصوا على النقل والإسناد الدقيق وهم أهل العلم والمعرفة، وهذا على عكس ما يبثه البعض على أن الموسوعات تشوبها الكثير من الأغلاط لأنها تحوي علوم ومعارف كثيرة ولا يتسنى لمؤلفها التدقيق والتمحيص في تفاصيلها.

على أي حال، لم تكن الموسوعات وحدها التي اعتمد عليها ابن شاهين، بل كانت المشافهة والسماع جزءاً أساسياً من موارد كتابه، وشكّلت المعاينة والمشاهدة والوقوف على الأحداث والأماكن مورداً مهماً للكتاب، وهذه أمور ثلاثة –المصادر المكتوبة –المشافهة– المعاينة– ما إن اجتمعت في المصنف إلا وكان متيناً رصيناً.

جاء تقسيم الكتاب على ما ذكره ابن شاهين في جزأين يتضمنان ستة عشر قسماً، مفقود منه الجزأين الخامس والسادس عشر، وضمّن كل قسم عدة أبواب، وكل باب إلى مقاصد، وتتضمن هذه

الأقسام والأبواب مواضيع عدة، تناولها ابن شاهين بالتسلسل انطلاقاً من مركز الحكم ودار السلطان إلى الممالك التي تخضع لهذا الحكم، وتجاوزها إلى الممالك التي تخضع لحكم الأعداء.

ففي أبواب الجزء الأول جاء حديثه السياسي الطويل والعميق، هذا الحديث استقى أفكاره من تجربته الغنية، ودعم ما ذهب إليه منقول عن عدد من كتب "نصيحة الملوك" يتصدرها كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي، وذلك حول النظام الإداري والعسكري المملوكي، ثم وصف تقسيمات السلطنة على ولايات ونيابات في مصر والشام، كما اهتم بذكر الأوضاع العالمية على أساس أن سلطنة المماليك شكلت المحور لمكانتها وإمكاناتها، ولأنها كانت دار الخليفة العباسي الذي استمر يمثل شرعية الأمة الإسلامية وإن كان ذلك من دون صلاحيات سياسية وإدارية لكن انطلاقاً من رمزيتها.

ومن الممكن وصف الجزء الثاني من الكتاب بأن موضوعه التاريخ شبه الحولي للإسلام، بدءاً من السيرة النبوية حتى أيام المؤلف، وما شهده في أيامه هو عالي الأهمية، ولا سيما العلاقات فيما بين سلطنة المماليك وأثيوبيا، التي ادعت لنفسها حماية الأقباط في مصر، كما هددت سلطنة المماليك سياسياً وتجارياً وعلى كافة الأصعدة وعلى العموم إذا ما أراد الباحث تحليل العنوان الذي وصفه ابن شاهين فكأنه يشير إلى أنه تنبأ بقدوم العثمانيين، وانتقال السلطة إليهم، بما أنه استقرأ كشاهد من ملطية على الفرات، ومن حلب ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث السياسية، واستيلائهم على معظم المناطق في شمال وشرق بلاد الشام، وقد توّجت أعمالهم العدوانية بدخول السلطان سليم الأول إلى البلاد، فاقتحم حلب وقتل السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق922هـ/1516م، ثم تابع استيلائه على الشام ووصل مصر واحتلها إثر معركة الريدانية عندئذ أسقط السلطنة المترنحة من زمن بعيد والآيلة إلى السقوط سنة 923هـ/1517م.

**رابعاً: أقسام الكتاب وأبوابه:**

يمكن وصف أقسام الكتاب وأبوابه بشكل عام على النحو التالي:

1. **القسم الأول:**

خصص ابن شاهين هذا القسم في معرفة النعم التي أسبغها الله تعالى على الرعايا لوجود السلطان في الأرض، وما يجب على السلطان إتباعه، والتصرف فيه تجاه رعيته، وعلى الجانب الآخر ما يجب على الرعية من الطاعة له، وقسّمه إلى ثلاثين باباً، وخصص الأبواب الخمسة عشر الأولى للحديث في الحكمة من وجود السلطان على الأرض، ومنفعته للرعية بشكل عام، وفي آداب الملوك والخصال الواجب توافرها في الملوك، مثل إقامة العدل والعفو عن المذنبين، والشكر لله تعالى على ما أنعمه على السلطان من النعم والفضائل، وصفات الحلم وذم الجهل، والمعرفة بالسياسات السلطانية، وفي جمال السلطان لكونه كريماً محسناً لرعيته، وكراهية البخل والشح.

في الخمسة عشر باباً المتبقين من القسم الأول، يتحدث ابن شاهين عن مجالس السلطان والآداب المتعلقة بها، وضرورة المشاورة لإصابة الرأي، وما يتعلق بذلك من هدايا النوّاب والرؤساء، وفي سير السلاطين في أخذ الخراج وبيت المال، وما يجب على الرعايا إذا جار عليهم السلطان. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 31– ظ إلى الورقة 133– ظ).

2. **القسم الثاني:**

خصصه ابن شاهين الظاهري للحديث عن ما يختص به السلطان دون غيره من شعار هذه السلطنة، وما يُنظر فيه من مهمات المملكة، وفيه خمس مقاصد، تكلم فيه في **المقصد الأول** عن ما يختص به الملك من شعار المملكة ورسومها التي يتميز بها عن جميع الملوك، ولا يشاركه فيها غيره إلا قليل من الملوك وهو على اثنين وعشرين شعاراً، واختص **المقصد الثاني** للحديث عن ما ينظرُ فيه السلطان من الأمور المهمة التي من هي قواعد السلطنة، والتصرف فيها برأيه، ووضعها على ثمانية أنظار، في حين ذكر في **المقصد الثالث** هيئة السلطان وترتيبه في المملكة، وأن له عشر هيئات، وفي **المقصد الرابع** تحدث عن عادات السلطان في إجراء الرزق على أهل مملكته، وهي على سبعة أنواع، هي الإقطاعات ورزق أرباب الأقلام وفي الخلع والتشاريف وفي الأنعام بالخيل، وفي الإدرارات والإنعام بالرزق وفي المأكول والمشروب، وخصص **المقصد الخامس** في انتهاء الأخبار إلى السلطان، وصنّفها في ثلاث أنواع هي: أخبار الملوك، والأخبار التي ترد عليه من جهة نوابه، وأخبار حاضريه. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 134– وإلى الورقة 192– و)

3. **القسم الثالث:**

جعل ابن شاهين القسم الثالث للحديث عن أرباب الوظائف بالديار المصرية، ومن يتولى منهم في الحضرة السلطانية الشريفة، ووضعه على **سبعة أبواب**، يتضمن الباب الأول **سبعة مقاصد**، يتكلم في **المقصد الأول** عن أرباب السيوف ورُتبهم، ووضَعهم في سبعة طبقات، وفي **المقصد الثاني** ذكر أرباب الوظائف من الأمراء المقدمين ووضعهم في إثني عشر مقدماً، وخصص **المقصد الثالث** في ذكر أرباب الوظائف من الأمراء الطبلخانات، وصنّفهم في إثني عشر أميراً، وفي **المقصد الرابع** تكلّم عن أمراء العشروات، وهم ثمانية أمراء، و**المقصد الخامس** فيه ذكر أمراء الخمسات، وهم ستة أمراء، وخصص **المقصد السادس** لذكر الذين لم يكن لهم إمرة، وهم أربعة، وفي **المقصد السابع** والأخير في ذكر الجند من الممالك السلطانية، ووضعهم في خمس فئات.

يتابع ابن شاهين **الباب الثاني** من القسم الثالث ويذكر فيه ولايات أرباب الوظائف الدينية بالقاهرة، ووضعهم في أربع أنواع هي: القضاء والإفتاء، والتداريس، ومشيخة الخوانق[44]، والخطباء والأئمة.

ويخصص **الباب الثالث** في تولية الأنظار على الوظائف الدينية، في حين يتكلم في **الباب الرابع** في ذكر أرباب الوظائف الديوانية وأتباعهم على ما استقر عليه الحال وبمقتضى المتغيرات، **والباب الخامس** مخصص لذكر رؤساء الأطباء والكحالين والجرّاحين والمجبّرين، **والباب السادس** في معرفة مهاترة البيوتات، ومعلميها ووضعهم في سبعة رتب، أما **الباب السابع والأخير** في ذكر ولاية أهل الذمة من النصارى واليهود. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 193- ظ إلى الورقة 266- و)

4. **القسم الرابع:**

ينتقل ابن شاهين إلى موضوع من الممكن تصنيفه ضمن الموضوع الجغرافي، إذ أنه خصص القسم الرابع للحديث عن مملكة الديار المصرية وحدودها وأقاليمها، في حين كان موضوع القسم السالف الإدارة وما يتعلق بها من الوظائف الإدارية، ويشمل هذا القسم على **ثلاثة أبواب**، في الباب الأول تحدّث عن مملكة الديار المصرية وحدودها وما كان عليه قبل الإسلام، وما هي عليه، وفيه ذكر نهر النيل وما بها من المدن قبل الطوفان وبعده، أما **الباب الثاني** فخصصه للحديث عن قواعد الديار المصرية من حين فتح الإسلام وإلى زمان المؤلف، ووضعها ضمن أربع قواعد، هي الفسطاط، ومنازل ابن طولون، والقاهرة، وقلعة الجبل المحروس.

يصف ابن شاهين الممالك المحيطة بملكة مصر على أربع اتجاهات، القبلي، والشمالي والجنوبي، والغربي، ويدرسها واحدة تلو الأخرى في الأقسام التالية. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 267- ظ إلى الورقة 307- ظ)

5. **القسم الخامس:**

يتابع ابن شاهين كلامه ضمن السياق الجغرافي، ويتكلم في القسم الخامس عن الممالك الشامية، وما كانت عليه قديماً وما هي عليه في زمانه، وقسمها إلى سبع ممالك، هي: دمشق وحلب وحماة، وطرابلس وصفد. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 308- وإلى الورقة 372- و)

---

1- الخوانق: كلمة فارسية تعني بيت العبادة، ظهرت هذه المنشآت منذ القرن الأول للهجرة/القرن السادس الميلادي، وانتشرت في شرق العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، وهو مكان يأوي إليه العبّاد لقضاء ليلهم في العبادة والصلاة والدعاء والبعد عن الناس. (دهمان، 1990م، ص66)

6. **القسم السادس:**

ينتقل ابن شاهين من الممالك الشامية إلى قواعد الأقطار الحجازية، محافظاً على الوصف الجغرافي الذي ابتدأه بالديار المصرية، ويقسم ابن شاهين هذا الباب إلى **ثلاثة أبواب**، ففي **الباب الأول:** يتحدث عن مكة المشرفة ومن يتولاها من أمراء الأشراف، ويصف في الباب الثاني: المدينة النبوية ومن يتولاها من الأمراء الأشراف، **والباب الثالث** خصصه لمعرفة أماكن وأزمنة الوقوف والمسير للخروج من القاهرة إلى مكة المشرفة والمدينة النبوية، وذلك بذكر المسافات والمناهل الموضوعة على الطرق، وعدد الأيام للوصول إلى تلك المناطق. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 373– ظ إلى الورقة 388– و)

7. **القسم السابع:**

يسمّي ابن شاهين القسم السابع "معرفة الملوك والممالك وأصحاب الأقاليم في بلاد الشرق من المسلمين على اختلاف أجناسهم"، وقسّم هذا الجزء من الممالك إلى ثلاثة ممالك، هي: **مملكة بلاد فارس**، وقسمها إلى عشر أقاليم، **ومملكة توران**، وذكر ملوكها، **ومملكة الهند**، التي تشتمل على ست ممالك. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 398– ظ إلى الورقة 430– و)

8. **القسم الثامن:**

في هذا القسم يتحدث ابن شاهين في ممالك أهل الكفر في الجهات الأربع، ومعرفة بلادها والملوك الذي يسيطرون عليها في زمان المؤلف، ووضعها كما سلف الذكر في أربع جهات، فتحدث في الجهة الأولى التي هي جهة الشرق عن ثلاث ممالك هي: مملكة الكُرج وقاعدتها تفليس، والمملكة الثانية هي مملكة أهل الأرمن، وقاعدتها سيسن والثالثة مملكة صاحب الأبواب الذي على بحر صبر ستار –بحر الخزر–، والجهة الثانية هي الجهة الغربية التي قاعدتها طليطلة، والثالثة هي الجهة الشمالية وهي بيد اثني عشر ملكاً، عددهم ابن شاهين تباعاً. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 431– ظ إلى الورقة 457– ظ)

**9. القسم التاسع:**

ينتقل ابن شاهين في هذا القسم إلى موضوع تاريخي، فيتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر نسبه الكريم ومولده وغزواته وصفاته وأسمائه وخلقه وزوجاته وأولاده وأعمامه وعماته وإمائه وحرسه ورسله، وذكر النجباء من أصحابه وذكر دوابه وسلاحه ولوائه وأثوابه وإنائه وشيء من معجزاته، وذكر وفاته صلى الله عليه وسلم. (ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 458- وإلى الورقة 491- ظ)

يُلاحظ أن منهج ابن شاهين في هذا القسم والأقسام التالية يتغير من منهج التفصيل في الحديث عن مادته وموضوعه إلى منهج دراسة التراجم والطبقات، فيذكر الشخصيات المترجم لها ضمن الحقبة المدروسة واحدة تلو الأخرى، ويذكر شيئاً من سيرتها، وبعض أعمالها، وأهم الأحداث التاريخية التي حدثت في أيام كل واحد منهم، خاصة وأنَّ هذه الشخصيات هي شخصيات قيادية في العصر العربي الإسلامي وهي الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ومن استلم زمام الحكم والأمور في مختلف العصور إلى أيام المؤلف.

10. **القسم العاشر: في ولاية الخلفاء الراشدين إلى نهاية أيام الدولة الأموية.**(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 492- و إلى الورقة 511- ظ)
11. **القسم الحادي عشر: في ذكر من ولي الخلافة من الخلفاء العباسيين.**(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 512- و إلى الورقة 553- ظ)
12. **القسم الثاني عشر: في ذكر من تولى من الخلفاء العباسيين إلى أيام المؤلف.**(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 556- ظ إلى الورقة 572- و)
13. **القسم الثالث عشر: في ذكر من تولى من الملوك الفاطميين إلى أيام الأكراد.**(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 573- ظ إلى الورقة 587- ظ)
14. **القسم الرابع عشر: في ذكر من تولى من الأكراد إلى أيام الدولة التركية.**(ابن شاهين الظاهري، مخطوط، من الورقة 588- و إلى الورقة 633- ظ)
15. **القسم الخامس عشر: في ذكر من تولى من الدولة التركية إلى أيام الشراكسة.**(من القسم الضائع)
16. **القسم السادس عشر: في ذكر من تولى السلطنة.**(من القسم الضائع)

- **خاتمة:**

في ختام هذه البطاقة التعريفية لمؤلف مخطوطة "موكب الترك وكوكب الملك" ابن شاهين الظاهري، يرى الباحث أن بداية الموسوعات لم تبدأ فقط في العصر المملوكي كما هو متعارف في الأوساط الأكاديمية، بل كانت البداية لهذا النمط من الكتابة مع بداية عصر التدوين، إذ اشتهر كثير من العلماء والمؤرخين العرب والمسلمين في كتاباتهم ذات الطابع الموسوعي، وقد تم الإشارة إلى عدد منها في معرض هذا البحث.

من ناحية أخرى وبعيداً عن بداية الكتابة الموسوعية، إن الكشف عن التراث المادي العربي الإسلامي لهو إثبات ودليل يقوى يوماً بعد يوم عن مدى تقدم الحضارة العربية الإسلامية، فالكشف عن مضامين هذه المخطوطات وما تحتويه من العلم والمعرفة في كافة الميادين الحضارية يعد إضافة إلى ما وصل إليه العلم اليوم، والمخطوطة التي بين أيدي الباحث بتنوع مواضيعها السياسية والإدارية والجغرافية والتاريخية، لا شك أنها إضافة إلى المكتبة العربية الإسلامية الزاخرة.

وعلى ما سلف ذكره تبيّن أن المؤلف ابن شاهين الظاهري من أعلام عصره –القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي– المميزين بفكره الموسوعي، على اعتبار أنه من الموظفين الحكوميين المشهودين لهم بعملهم المتفاني، وبعلمهم الوافر، وإلى المؤلفات التي ألفها ابن شاهين، والتي ذكرها المؤرخون وأصحاب التراجم في كتبهم ومصنفاتهم، وهذا عدا كونه شاهداً عياناً على كثير من الأحداث التاريخية التي دوّنها في كتابه.

وبالعودة إلى مخطوط "موكب الترك وكوكب الملك"، فإنه من أكثر الموسوعات التي احتوت على علوم كثيرة من حيث السياسة والإدارة والتاريخ والجغرافية، والمنهج الذي اتبعه ابن شاهين في كتابته يدل على عمق الدراية في التصنيف، وهو أشبه بوضع الفهارس العامة لأي كتاب تاريخي جغرافي، بحث ينتقل القارئ له من فكرة إلى أخرى بسلاسة وانسيابية كبيرة.

- **المصادر والمراجع:**

**أولاً: المصادر:**

1. البابانى، إسماعيل بن محمد، (1955م). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف. 574
2. الحموي، ياقوت ت 626هـ/1229م. ( 1977م).معجم البلدان، دار صادر:539.
1. زين الدين، عبد الباسط بن خليل ت920هـ/1514م. (2002م). نيل الأمل في ذيل الدول. ط: 1. المكتبة العصرية: 457
2. ابن سبط العجمي، أحمد بن إبراهيم ت884هـ/1476م. (1996م) كنوز الذهب في تاريخ حلب. ط: 1. دار القلم: 496
3. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ/1496م. (د.ت). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، 344
4. سركيس، يوسف بن إليان ت1315هـ/1897م. (1928م). معجم المطبوعات العربية والمعربة. مطبعة سركيس: 2042
5. المقريزي، أحمد بن علي ت845هـ/1441م. (1997م). السلوك لمعرفة دول الملوك. ط: 1. دار الكتب العلمية. 482

**ثانياً: المراجع:**

1. جمال الدين، أمينة، (د.ت). النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب مصادره الأدبية وآراءه النقدية، دار ثابت: 345
2. حمزة، عبد اللطيف. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر العربي. ط: 1
3. خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله ت1067هـ/1657م: كشف الظنون. دار إحياء التراث العربي. (1941م). 93
4. دهمان، محمد. (1990م). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوك. ط: 1. دار الفكر: 160
5. رائف، نجم، وآخرون، (1983م). كنوز القدس. منشورات منظمة المدن العربية والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن. 495
6. الزركلي، خير الدين بن محمود، (2002م)، الأعلام، ط: 15. دار العلم الملايين. 349
7. الشكعه، مصطفى. (1991م). مناهج التأليف عند العلماء العرب قسم الأدب. ط: 6. دار العلم للملايين.

8. كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش. (د.ت). تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.